



المفتون المسكرة

تفريغ شرح كتاب

الأصوام لك البلاءة

شرح

سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن حمزة



شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

رحمہ اللہ

لكتاب

الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمہ اللہ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه،
ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فيطيبُ «المؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين
يديّ القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن باز رحمته الله لكتاب
ثلاثة الأصول الذي ألفه الإمام المجدد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب
رحمته الله وذلك ضمن إصداراتها لسلسلة شروح وتعليقات سماحة الشيخ رحمته الله
على كتب أهل العلم.

وكتاب ثلاثة الأصول هو كتاب موجز اللفظ عظيم النفع، عرّف فيه
المؤلف العبد المسلم بربه، ودينه، ونبيه عليه الصلاة والسلام مُدْعِماً
أقواله بنصوص الكتاب والسنة، وقد اعتنى أهل العلم بهذا الكتاب
فشرحوه وبيّنوا معانيه، وممّن اعتنى به كثيراً سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن
باز رحمته الله حيث شرحه مراراً في دروسه العلميّة في المساجد فجلّ معانيه،
وبيّن مراميه بألفاظٍ وعباراتٍ واضحة، وأسلوب سهل؛ لذا رأت
المؤسسة ضرورة إعادة طبع هذا الشرح حتّى يعم نفعه جميع المسلمين.

علماً بأنّ هذا الشرح هو تفريغ من أشرطة تسجيل صوتي لسماحته
رحمته الله وكان قد فرغ في حياة الشيخ رحمته الله وعُرض عليه، فأجازه وأذن في
طبعه لابنه الشيخ/ أحمد بن عبدالعزيز بن باز، ولفضيلة الشيخ/ علي بن
صالح بن عبد الهادي المري - وفقهم الله لكل خير -.

وهذه هي الطبعة الثانية منه محققةً منقحةً مستدركين فيها ما وقع في النسخة الأولى من ملحوظات مطبعية وإملائية، مع الالتزام برسم المصحف في إيراد الآيات، والعناية بحسن الإخراج والتخريج.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي كل من سعى لإخراجه خير الجزاء وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ حفظه الله، وفريق العمل بالرئاسة على ما يبذلوه من جهد في مراجعة هذه المادة ومطابقتها بأصولها، كما نسأله أن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على شيخنا في قبره، وأن يُضاعف له المثوبة والأجر، ويُعلي منزلته في الآخرة، ويجمعنا به في الفردوس الأعلى، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مؤسسة

الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

تعريف الشَّارح بثلاثة الأصول ومؤلفها

هذه رسالة مُهمّة في العقيدة ألّفها الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ الْمَجْدِدُ لِمَا أَنْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ الْإِسْلَامِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُلَقِّنُ الطَّلَبَةَ وَالْعَامَّةَ هَذِهِ الْأَصُولَ؛ لِيَدْرُسُوهَا وَيَحْفَظُوهَا، وَلِتَسْتَقَرَّ فِي قُلُوبِهِمْ؛ لَكُونَهَا قَاعِدَةً فِي الْعَقِيدَةِ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةُ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَقَدْ عُمِّرَ إِحْدَى وَتَسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ عُمَرًا مَلِيًّا بِالْخَيْرِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ، وَالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ أَنْقَذَ اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ فِي زَمَانِهِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَانْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَالْعِرَاقِ، وَالْهِنْدِ وَغَيْرِهَا، بِسَبَبِ الدُّعَاةِ الَّذِينَ حَمَلُوا عَنْهُ الْعِلْمَ، وَانْتَقَلُوا إِلَى تِلْكَ الْبُلْدَانِ وَالدُّوَلِ.

وَبِسَبَبِ الْمَكَاتِيبِ وَالْكَتَبِ الَّتِي انْتَشَرَتْ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَالِدُّعَاةِ التَّابِعِينَ لَهُ، فِي الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ.





شرح مقدمة المؤلف

«اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأولى: العلم: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ
الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثانية: العملُ بِهِ.

الثالثة: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرابعة: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ، وَالِدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ
إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١): بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ، وَالِدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لِذُنُوبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه المسائل: يجب أن يتعلَّمها المؤمنُ والمؤمنةُ الصَّغَارُ والكِبَارُ:

الأولى: العلم: فعلى الإنسان: أن يتعلَّم ويتبصَّرَ حتَّى يكون على
بَيِّنَةٍ، ويعرفَ دينَ اللَّهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ، وهذا العلم هو: معرفةُ
اللَّهِ، ومعرفةُ نَبِيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ، فهذا أوَّلُ شيءٍ: أن

(١) ستأتي ترجمته، وترجمة البخاري في كلام الشارح عند شرح كلامهما رحمهما الله تعالى.

يتبصر العبد: مَنْ هو رَبُّهُ؟.

فيعرف أَنَّ رَبَّهُ الخالق الَّذِي خلقه ورزقه، وأسدى إليه النعم، وخلق مَنْ قبله، ويخلق مَنْ بعده، هو ربُّ العالمين، وأَنَّه الإله الحقُّ المعبود، الَّذي لا يستحقُّ العبادة سواه أبداً، لا ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا جنٌّ، ولا إنسٌ، ولا صنمٌ، ولا غير ذلك؛ بل العبادة حقٌّ لله وحده، فهو المعبود بحقٍّ - سبحانه وتعالى -.

وهو المستحقُّ بأن يُعبدَ، وهو ربُّ العالمين، وهو ربُّكَ وخالقُكَ وإلهُكَ الحقُّ سبحانه وتعالى، فتعرف هذه المسألة الأولى، وهي: أن تعرف ربَّكَ، ونبيَّكَ، ودينَكَ بالأدلة، قال الله وقال الرسول، لا بالرأي، ولا بقول فلان؛ بل بالأدلة من الآيات والأحاديث، وذلك هو دينُ الإسلام الَّذي أنت مأمور بالدخول فيه، والالتزام به.

وهو عبادةُ الله الَّذي قال فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه العبادة: هي الإسلام، وهي طاعةُ الله ورسوله، والقيامُ بأمر الله، وتركُ محارمه.

هذه هي العبادةُ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ لأجلها، وأمر الله بها النَّاسَ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] يعني: اعبدوه بطاعة أوامره، واجتنابِ نواهيه، وإسلام الوجهِ لَهُ، وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالى.

ومن ذلك^(١) أن تعرفَ نبيَّكَ، وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي، ثُمَّ المدني عليه الصلاة والسلام، فتعرفَ أَنَّهُ نبيُّكَ، وَأَنَّ الله أرسله إليك بدين الحقِّ يُعَلِّمَكَ ويُرشدَكَ،

(١) يعني: من العلم الَّذي ينبغي أن يتعلَّمه المؤمن والمؤمنة.

فتؤمن بأنه رسول الله حقًا، وأنَّ الله أرسله للعالمين جميعًا من الجنِّ والإنس، وأنَّ الواجب اتِّباعُهُ والسَّيرُ على منهاجه، - وسيأتي تفاصيل هذا في الأصل الثالث من هذه الأصول الثلاثة -.

الثانية العملُ به : أي : أن تعمل بهذا الدين من صلاة، وصوم، وجهاد، وحجٍّ، وإيمان وتقوى، فتعمل بالإسلام؛ لأنَّك مخلوقٌ له، مخلوقٌ لعبادة الله، فعليك أن تعلم - دين الله - وتعمل به، فتعبد الله وحده، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتؤمن بالله وملائكته، ورسوله وكُتبه، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتبرّ والديك، وتصل الأرحام، إلى غير ذلك، فتعمل بما أمرك الله به، وتنتهي عمّا نهاك الله عنه وتترك المعاصي التي أنت منهّي عنها، وتفعل الواجبات التي أنت مأمورٌ بها.

الثالثة الدعوةُ إليه : أي : أن تدعو إلى هذا الدين، فتصحّ النَّاسَ بأنَّ يستقيموا عليه وترشدهم، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، هذه هي الدعوةُ إلى دين الإسلام، فعلى كُلِّ مسلم أن يدعوا إلى الله حسب طاقته وعلمه، فكلُّ واحدٍ - رجل أو امرأة - عليه قسطٌ من هذا الواجب، من التبليغ والدعوة والإرشاد والنصيحة.

وأن يدعوا إلى توحيد الله، وإلى الصلاة والمحافظة عليها، وإلى الزكاة وأدائها، وإلى صوم رمضان، وإلى حج البيت مع الاستطاعة، وإلى برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المعاصي كُلِّها.

الرابعة الصبرُ على الأذى فيه : أي : يصبرُ على الأذى في هذه الأشياء، فقد يحصل للإنسان أذى، قد يتعب من المدعو أو غيره من أهله أو غيرهم، فالواجب الصبر واحتسابُ الأجر عند الله.

فالمؤمنُ يَصْبِرُ على إيمانه بالله، وَيَصْبِرُ على العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حَرَّمَ الله عليه، وَيَصْبِرُ في الدَّعْوَةِ إلى الله، والتَّعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلابدَّ من الصَّبر في هذه الأمور كُلِّها، فالدين كُلُّه يحتاج إلى صبر، صبر على دعوة الله وحده، وصبر على أن تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وصبر عن المحارم والسيئات، فتحذر من قربها، فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حَرَّمَ الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه؛ ولهذا قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] يعني: اصبروا على طاعة الله، وترك معصيته، واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

والدليل على هذه المسائل الأربع، قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ③ [العصر: ٣-١] ففي هذه السورة العظيمة، الحجة؛ لهذه الأمور، وهذا هو الدين كُلُّه، فالدين كُلُّه إيمان وعمل ودعوة وصبر.

إيمان بالحق، وعمل به، ودعوة إليه، وصبر على الأذى فيه، والناس كُلُّهم في خسارة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي: الذين استثناهم الله، فجميع بني آدم في خسران، وعلى طريق الهلاك إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

فهؤلاء هم الرَّابِحُونَ، وهم السُّعْدَاءُ، وقد أقسم الله على هذا بقوله: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ وهو الصَّادِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن لم يقسم؛ ولكن أقسم لتأكيد المقام. والله سبحانه وتعالى يُقسم بما شاء من خَلْقِهِ، فلا أَحَدٌ يَتَحَجَّرُ^(١) عليه، فأقسم بالسَّماء ذاتِ البرُوجِ، وأقسم بالسَّماء والطَّارِقِ، وبالضُّحَى، وبالشَّمْسِ وضحاها، وباللَّيْلِ إذا يغشى، وبالنَّازِعَاتِ وغير ذلك؛ لأنَّ المخلوقاتِ تدلُّ على عَظَمَتِهِ، وعلى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هو المُسْتَحَقُّ للعبادة، - وأقسم بها - لبيان عِظَمِ شأنِ هذه المخلوقاتِ التي تدلُّ على وحدانيَّتِهِ، وأَنَّهُ المُسْتَحَقُّ للعبادة وحده.

وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه، فلا يُقسم ولا يحلف إلا بالله، ولا يجوز له أن يحلف بالأنبياء، ولا بالأصنام، ولا بالصالحين، ولا بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بغيرها.

هذا هو الواجب على المسلم؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح^(٢).

(١) يتحجر من الحجر، وهو: المنع، حجره، بمعنى: منعه من الشيء، كما في القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة: [حجر] باب الرِّاء، فصل الحاء (ص ٣٤٨).

(٢) من حديث ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما انظر المسند (١/٤٧، ٢/٣٤) الطبعة الأولى طبعة الميمنية، المعروفة بالطبعة الحجرية، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان ولا يحلف إلا بالله، برقم (١٥٩٢٦) (٨/٤٦٨) واللفظ لهما، كما أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأبواء، برقم (٣٢٥١)، والترمذي في أبواب النذور والأيمان عن رسول ﷺ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم (١٥٣٥)، وعنده زيادة لفظ: «فَقَدْ كَفَرَ» في آخره، وقال: هذا حديث حسن، وهذه الزيادة عند الحاكم أيضًا، والحديث صحيح، كما قال الشيخ، فقد صححه الحاكم في المستدرک، في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٧٨١٤) ووافقه الذهبي على تصحيحه له، ينظر: التلخيص مع المستدرک (٤/٢٩٧).

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللّهِ أَوْ لِيَصِمْتُ»^(١).

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ الحذرُ من الحلفِ بغيرِ الله، وأن تكون أيمانهم كُلُّها باللهِ وحدهُ سُبْحانه وتعالى.

يقولُ الشّافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ هو الإمامُ المشهورُ، أحدُ العُلَماءِ الكبارِ، وأحدُ الأئمةِ الأربعةِ، وهو: محمّد بن إدريس الشّافعيُّ المطلبيّ، المولودُ سنّة خمسَين ومئةً، وتوفيَّ سنة أربعٍ ومئتين هجرية.

يقولُ رَحِمَهُ اللهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ»، وفي رواية: «لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ»^(٢) أي: لو نظروا فيها وتأملوا لكانت كافيةً في إلزامهم بالحقِّ، وقيامهم بما أوجبَ اللهُ عليهم، وترك ما حرّمه عليهم؛ لأنَّ اللهَ يَبَيِّنُ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصّالحاتِ وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصّبر هم الرّابحون، ومَنْ سواهم خاسرٌ.

وهذه حُجَّةٌ قائمةٌ على وجوبِ التّواصي، والتّناصح، والإيمان، والصّبر، والصّدق، وأنّه لا طريقَ للسّعادة والرّيح إِلَّا بهذه الصّفات الأربع: إيمان صادق باللهِ ورسوله، وعملٍ صالحٍ، وتواصٍ بالحقِّ، وتواصٍ بالصّبر.

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في عدة مواضع في صحيحه منها في كتاب الإيمان والندور، باب لا تحلفوا بأبائكم برقم (٦٦٤٦)، وأولّها في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى برقم (١٦٤٦).

(٢) انظر: للمزيد من سيرته وترجمته سير أعلام النبلاء (٣٧٩/٨) ترجمة رقم (١٥٣٩) طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

وقال البخاري رحمه الله: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، من بخارى في الشرق الأقصى، ولد سنة أربع وتسعين ومئة في آخر القرن الثاني، ومات سنة ست وخمسين ومئتين من الهجرة في وسط القرن الثالث، كان عمره اثنتين وستين سنة، - عند وفاته - وهو صاحب الصحيح، وله مؤلفات أخرى عظيمة نافعة رحمه الله (١).

يقول: في صحيحه (٢)، باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].
فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فالإنسان عليه أن يتعلم أولاً، ثم يعمل، فيتعلم دينه ويعمل على بصيرة، والله أعلم.



(١) انظر: للمزيد من ترجمته وسيرته سير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٠) ترجمة رقم (٢١٣٦).
(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب العلم، الكتاب الثالث في الصحيح، الباب العاشر منه، ما بين رقمي (٦٧ - ٦٨).

توطئة للأصل الأول

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ
الْثَلَاثِ مَسَائِلَ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ :

الأولى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا
رُسُلًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثانية: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، لَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ،
وَلَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ، وَالِدَّلِيلُ، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨].

الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبًا، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ
حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد لله
وَحَقُّوقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، فلم يخلقهم هملاً، ولا سُدىً، ولا عبثاً؛
لكنَّهُ خلقهم لأمرٍ عظيمٍ، ولحكمةٍ عظيمةٍ، فيها سعادتهم، وفيها نجاتهم،

وهي: أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة أمرهم بها في قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وفي قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وفي قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وفي قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

في آيات كثيرة أمرهم فيها بالعبادة، وهي توحيده جلّ وعلا، وتخصيصه بالعبادة: من دُعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وصلاة، وصوم، وغير ذلك.

فهو المستحق للعبادة جلّ وعلا دون كل ما سواه، ويدخل في ذلك فعل الأوامر، وترك النواهي، فأداء الأوامر التي أمرك الله بها ورسوله، وترك النواهي التي نهاك الله عنها ورسوله، كل هذا داخل في العبادة، وهذا هو الإسلام، وهو الدين، وهو الإيمان وهو الهدى.

فلا تُصَلِّ إِلَّا لِلَّهِ، ولا تَرْكَعْ إِلَّا لَهُ، ولا تَذْبَحْ إِلَّا لَهُ، ولا تدع إِلَّا إِيَّاهُ، ولا تتوكل إِلَّا عليه، إلى غير هذا من العبادات.

أما الاستعانة بحاضر قادر فيما يقدر عليه، فهذا ليس بعبادة، كما قال سبحانه في قصة موسى ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] فَإِنَّ مُوسَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُغِيثَهُ.

أما دُعاء الميت، ودُعاء الغائب الذي لا يسمع كلامك، أو دُعاء الصنم، أو الجن، أو الأشجار ونحوها، فهذا شرك المشركين، وهو الشرك الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فإلله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملاً؛ بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

وأرسل إلينا رسولاً هو: محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما تقدم، وأنزل عليه القرآن بذلك؛ لنستقيم على ما فيه من الهدى، ونعمل بما فيه من الأوامر، وننتهي عما فيه من التواهي، على يد محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، جاء ليُعلم الناس دينهم، فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وأفضلهم.

فمن أطاع هذا الرسول واستقام على دينه فله الجنة، ومن عصى هذا الرسول، وحاد عن دينه فله النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ١٥] يعني: بأعمالكم - التي شاهدها -: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ فهو مرسلٌ عليه الصلاة والسلام: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٦] أي: أخذنا فرعون أخذاً وبيلاً في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار.

والمسألة الثانية: إنما هي تحقيق للمسألة الأولى - وهي -: أن تعلم أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته، كما أنه الخالق الرازق المحيي المميت، الذي خلقك، وأعطاك النعم، فهو سبحانه لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ من الخلق؛ لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا غيرهما؛ لأنَّ العبادة حقٌ لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

لأنَّ الإشراكَ به هو أعظمُ الذُّنوبِ، وقد جاء في الآياتِ الكثيرة، الأمرُ بإخلاصِ العبادةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، والنَّهي عن عبادةٍ ما سِواه، فتجمع بين أمرين، فتؤمن بأنَّ اللَّهَ هو الخالقُ الرَّازقُ المُحيي المُميتُ، وتؤمنُ بأنَّه سُبْحانَهُ هو المُستحقُّ للعبادةِ مِنْ دَبْحٍ، وصَلَاةٍ، وصومٍ وغير ذلك مِنَ العباداتِ، كما قال سُبْحانَهُ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨].

وهذه المسألةُ الثالثةُ: وهي مِنْ أهمِّ الواجباتِ، أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنَّه لا يجوز له أن يوالي المشركين، أو يُحبِّبهم، فكلُّ من أطاع اللَّهَ ورسولَهُ ووَحَّدَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يلزمه أن يُعادي الكُفَّارَ، ويُبغِضَهُمْ في اللَّهَ، ولا يجوز له موالاةُهم ومحبَّتُهُمْ، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ أي: لا تَجِدُ يا مُحَمَّدٌ قَوْمًا أَهْلَ إِيمَانٍ صادقٍ: ﴿يُؤَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] وقال ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فَلابدَّ مِنَ البَغْضَاءِ والعَدَاوَةِ لأعداءِ اللَّهِ، وَمَوَدَّةِ المؤمنين ومحبَّتِهِمْ، هكذا المؤمنُ يُحِبُّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَيَتَعَاوَنُ معهم في الخير، وَيَكْرَهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَيُبْغِضُهُمْ وَيُعَادِيهِمْ في اللَّهِ، وَإِنْ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ أَقْرَهُمْ فِي بِلَادِهِ وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ، كَوَلِّي الأمر؛ لأنَّ الرِّسُولَ ﷺ

أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس^(١)، وأخذ الجزية منهم فيها عونٌ للمسلمين، لَا مَحَبَّةَ لَهُمْ، وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام، ولا يُقاتلون؛ بل يُقَرَّونَ مع بُغْضِهِمْ في الله، وعدمِ مَوَالِيَتِهِمْ.

فإنَّ أَبَوَا الإسلامِ والجزيةَ قُوتِلُوا مع القدرة، وهذا خاصٌّ بأهل الكتابِ والمجوسِ، أمَّا بقيةُ الكفارِ، فَلَا تُقَبَّلُ منهم الجزيةُ؛ بل يُقَاتَلُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا في الإسلامَ، كَالْوَثْنَيْنِ وَالشُّيُوعِيِّينَ وغيرهم من أصنافِ الكفرةِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ؛ لقولِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وَمُرَادُهُ سُبْحَانَهُ، مع القدرة على ذلك لقوله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]

(١) اليهود والنصارى هم أهل الكتاب وتؤخذ منهم الجزية لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وأمَّا المجوس فلقوله ﷻ: «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصدقة، [٢٤] باب جزية أهل الكتاب والمجوس برقم (٤١) في الكتاب المذكور، ومن طريقه أخرجه الشافعي في مسنده (٢٠٩/١)، ومن طريق الشافعي البيهقي في السنن الكبرى (١٨٩/٩)، كما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه في كتاب أهل الكتاب، باب أخذ الجزية من اليهود برقم (١٠٠٢٥) (٦٨/٦)، والبخاري في مسنده المعروف بالبحر الزخار في مسند عبدالرحمن ابن عوف رحمه الله برقم (١٠٥٦) (٣/٢٦٤).

ولأنه ﷺ لم يقاتل المشركين حتى قوي على ذلك. ثم قال تعالى في آخر الآية ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: قواهم بقوة منه.

قال المؤلف رحمه الله:

«اعْلَمْ - أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِمَطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ ^(١) مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوحِّدُونِي، وَأَعْظُمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظُمَ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قال رحمه الله: «اعْلَمْ - أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِمَطَاعَتِهِ - » جمع رحمه الله بين التعليم والدعاء «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» وهي التي قال الله فيها لنبِيِّهِ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

(١) الحنيف: هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه المستقيم فيه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأنه حنف عمّا كان يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله وحده، أي عدل عن ذلك ومال لعبادة الواحد الديان، وأصل الحنف ميل من إبهامي القدمين كل واحد منهما على الأخرى. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تقديم علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري مادة [حنف] باب الحاء مع النون ص ٢٣٦. طبعة دار ابن الجوزي بالرياض عام ١٤٢٥هـ.

فالحنيفية هي: الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه، والحنيف: هو الذي أقبل على الله، وأعرض عما سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم وأتباعه، وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا» فَأَمَرَهُمْ بالتوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم، وصومهم، ودعائهم، وخوفهم، ورجائهم، وذبحهم، ونذرهم، وغير ذلك من أنواع العبادة، كُله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] هذه العبادة هي التي خلق لها الناس، خلق لها الثقلان، وهي: توحيد الله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، يعني: يوحدوني في العبادة، ويخصوني بها، بفعل الأوامر، وترك النواهي إلى غير ذلك من الآيات.

وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا، ولا نبيًا، ولا ملكًا، ولا حجرًا، ولا جنًا، ولا غير ذلك.

وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قِيلَ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ

يَطْعَمَ مَعَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ^(١) فَبَيْنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ الشَّرْكَ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ وَأَشَدَّهَا وَأَخْطَرَهَا.

وفي الحديث الآخر يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» الحديث، متفق عليه^(٢).

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والشرك: هو دعوة غير الله مع الله، تدعوه، أو تخافه، أو ترجوه، أو تذبح له، أو تنذر له، أو غير ذلك من أنواع العبادة.

هذا هو الشرك الأكبر، سواء كان المدعو نبياً، أو ملكاً أو جنياً، أو شجرة، أو حجراً، أو غير ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ((فشيئاً)) نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥٠] فأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك بالله ﷻ كما تقدّم.

ولهذا أكثر سبحانه وتعالى في القرآن من الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.



- (١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، من سورة البقرة في باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] برقم (٤٤٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده برقم (٨٦).
- (٢) وتماه: «وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، وشهادة الزور» واللفظ للبخاري، أخرجه من حديث أبي بكرة ﷺ البخاري في عدة مواضع منها: في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر برقم (٥٩٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).

بيان مجمل بالثلاثة الأصول

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، هُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفَاتِحَةُ: ٢] وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

هَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّينَ كُلَّهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، هَذَا رَبُّ الْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفَاتِحَةُ: ٢].

وَالْعَالَمُونَ: جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، كُلُّهُمْ عَالَمُونَ - الْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالْبَهَائِمُ، وَالْجِبَالُ وَالْأَشْجَارُ - كُلُّهَا عَالَمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى أَيْلَ النَّهَارِ يَظْلُمُهُ حُثْيَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَهُوَ رَبُّ الْجَمِيعِ، لَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ بِأَنْ يُعْبَدَ؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَنَاءِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١] وَهُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] يعني: الثناء كله لله، والثناء والحمد من العبادة.

وكل ما سوى الله عالم، من الجن والإنس والحيوانات والجبال، كلها عوالم، وأنا واحد من ذلك العالم الذي خلقه الله وأوجده، وأوجب عليه طاعته، فعلى جميع العالمين من المكلفين من الجن والإنس أن يطيعوا الله ورسوله، ويؤحدوه جلّ وعلا.

وهكذا الملائكة عليهم أن يعبدوا الله وحده؛ ولهذا قال تعالى عن الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التخريم: ٦] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴿[الأنبياء: ٢٧-٢٨].

قال المؤلف رحمه الله:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

والربُّ: هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة^(١).

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: إذا قيل لك: أيها المسلم بم عرفت ربك الذي أنت تعبده؟، فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته، أي: عرفته بآياته الكثيرة، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل على أَنَّ الرَّبَّ الْعَظِيمَ، وَأَنَّ الْخَلَّاقَ الْعَلِيمَ، وَأَنَّ الْمُسْتَحَقَّ؛ لِأَنْ يُعْبَدَ، وَأَنَّ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَنْفَعُ وَيَضُرُّ، بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهو الْمُسْتَحَقُّ بِأَنْ نَعْبُدَهُ بِطَاعَتِهِ وَدَعَائِهِ وَاسْتِغَاثَتِهِ، وَسَائِرِ أَعْمَالِنَا وَعِبَادَاتِنَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا لِهَذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة، هي: توحيده وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولاً وعملاً.

والدليل على معرفة الله بآياته قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] كُلُّ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّ الْخَلَّاقَ الْعَلِيمَ، يُأْتِي اللَّيْلَ بِظِلَامِهِ، وَيُذْهِبُ النَّهَارَ بِضِيَائِهِ، ثُمَّ

(١) هو أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي نسباً الدمشقي مولداً الشافعي مذهباً صاحب التفسير والتاريخ المشهور بالبداية والنهاية المتوفى سنة ٧٧٤هـ [نظر: لمزيد من ترجمته تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١٥٠٨) والدرر الكامنة لابن حجر (١/٤٠٠)] ولكلامه هذا انظر: تفسير القرآن العظيم له عند تفسيره سورة البقرة الآية [٢٢] (١/١٩٧) طبعة طيبة الإصدار الثاني الطبعة الثالثة عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م.

يَجِيءُ بِالنَّهَارِ وَيُذْهَبُ اللَّيْلَ.

وهذه الشمسُ تَطْلُعُ على النَّاسِ في الدُّنْيَا كُلِّهَا، وينتفعون بها، وهذا القمر كذلك، في الليل وغير هذه من الآيات العظيمة، كالأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وحيوانات، وهذه السموات التي يراها النَّاسُ، كُلُّهَا من آياته الدَّالَّة على عظمته، وَأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ للعبادة؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلَّيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧] يعني: لا تَعْبُدُوا هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ بل اعبدوا الذي خلقها، وأوجدها سبحانه وتعالى، فهو الْمُسْتَحِقُّ بِأَنْ يَذَلَّ لَهُ الْعَبْدُ، وَيَخْضَعَ لَهُ، وَيُطِيعَ أَوْامِرَهُ، وَيَنْتَهِيَ عَنِ نَوَاهِيهِ سبحانه وتعالى؛ تَعْظِيمًا وَتَقْدِيرًا لَهُ، وَخَوْفًا مِنْهُ، وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا الْعِبَادُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ هُوَ اللَّهُ، وَرَبَّكُمْ، يعني: خالقكم، وهو معبودكم الحقَّ وحده لا شريك له: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: ثم ارتفع على العرش، وعلا فوقه سبحانه وتعالى.

فَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْعَرْشُ: سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ، وَاللَّهُ فَوْقَهُ جَلَّ وَعَلَا، اسْتَوَى عَلَيْهِ، اسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، لَا يُشَابِهُ خَلْقَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: يُغْطِي هَذَا بِهِذَا، وَهَذَا بِهِذَا، ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: سَرِيعًا، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَطْلُبُ الْآخَرَ، إِذَا انْتَهَى هَذَا دَخَلَ هَذَا، وَهَكَذَا... حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنَّجُومَ خَلَقَهَا مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ، مُطِيعَاتٍ، مُذَلَّلَاتٍ لِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلق له سبحانه، والأمر له، هو الخلاق الذي لا يُخَالَفُ أَمْرُهُ الْكَوْنِيُّ الَّذِي هُوَ نَافِذٌ فِي النَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٥٠] فَأَمْرُ اللَّهِ الْكَوْنِيُّ الْقَدْرِيُّ لَا رَادَّ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فـ(تبارك) يعني: بَلَغَ فِي الْبَرَكَةِ النَّهْيَةَ، وَهِيَ صِغَةُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ، فَلَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ: تَبَارَكَ يَا فُلَانٌ، هَذَا لَا يَصْلُحُ، وَإِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِاللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وَإِنَّمَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ: بَارَكَ اللَّهُ فِي فُلَانٍ، أَوْ فُلَانٌ مُبَارَكٌ، أَمَّا تَبَارَكَتْ، فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَالرَّبُّ: هُوَ الْمَعْبُودُ، وَ﴿الْعَالَمِينَ﴾ الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ رَبُّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرَبُّ الْجَمِيعِ، وَخَالَقَ الْجَمِيعِ جَلَّ وَعَلَا.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] خَلَقَ الْجَمِيعَ الَّذِينَ قَبْلَنَا، وَالَّذِينَ بَعْدَنَا مِنْ آدَمَ، وَمَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ، فَهُوَ خَلَقَ الْجَمِيعَ لِيَتَّقُوهُ وَيَعْبُدُوهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ بَعْضَ أَفْعَالِهِ، فَقَالَ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] فَجَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا لِلنَّاسِ، وَمِهَادًا لَهُمْ، عَلَيْهَا يَسْكُنُونَ، وَعَلَيْهَا يَبْنُونَ، وَعَلَيْهَا يَنَامُونَ، وَعَلَيْهَا يَمْشُونَ، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] فَجَعَلَهَا بِنَاءً وَسُقْفًا مَحْفُوظًا، وَهَمَّ عَنْ آيَاتِهَا مَعْرُضُونَ، وَزَيَّنَهَا بِالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] أَي: مِنَ السَّحَابِ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أَنْوَاعَ الْأَرْزَاقِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيُحْيِي اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أَي: أَشْبَاهًا وَنَظَرَاءَ تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ، لَا صَنَمًا، وَلَا جَنًّا، وَلَا مَلَكًا، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ.

فَالْعِبَادَةُ: حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَيْسَ لَهُ نَدِيدٌ، وَلَا نَظِيرٌ، وَلَا مِثْلٌ؛ بَلْ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ، وَكَانَ الْمَشْرُكُونَ يَتَّخِذُونَ لَهُ الْأَنْدَادَ، وَالنَّظَائِرَ، وَالْأَمْثَالَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْجِنِّ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، فَأَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لَهَا حَقٌّ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَا قُدْرَةٌ لَهَا عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَقْدِيرِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنْ سَمَاءٍ، وَأَرْضٍ، وَثَمَارٍ، وَأَشْجَارٍ، وَمَطَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنْ يَطَاعَ؛ لِأَنَّهُ رَبُّ الْجَمِيعِ، وَخَالِقُ الْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].



معنى العبادة وأنواعها

قال المؤلف رحمه الله:

«وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْحَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاسْتِعَانَةُ، وَالْاسْتِعَاذَةُ، وَالْاسْتِعَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(١) وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

(١) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم ٣٣٧١، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والحديث في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، إلا أن هذا الحديث يشهد له حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما «الدعاء هو العبادة» لذا عضد به الشيخ في شرحه، كما سيأتي، ومعنى مخ العبادة: خالصها، قال ابن الأثير: مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخ العبادة الدعاء لأمرين: أحدهما: أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فهو محض العبادة وخالصها، الثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة؛ ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء. انظر: النهاية في غريب الحديث مادة: [مخخ]، باب الميم مع الخاء ص ٨٦٠، طبعة دار ابن الجوزي الثالثة عام ١٤٢٥ هـ.

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

العبادة أنواع: فمنها الإسلام بأركانها، فكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة، وصوم، وغير ذلك، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف، والمحبة، والرجاء، إلى غير ذلك، فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة، وهكذا الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهذا أيضًا من العبادة؛ بل هو أعلى أنواع العبادة وأعظمها.

فالواجب على كل مُكَلَّفٍ إخلاص العبادة لله وحده، فلا يدعو مع الله الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا النجوم؛ لأنَّ العبادة حق لله وحده، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال ﷺ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنِيبُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فسمى سبحانه دعاءهم شركاً، فالواجب على جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده، رجاءً، وخوفاً، واستعانةً، واستغاثةً، وذبحاً، ونذراً، وخشيةً لله، وصلاةً، وصوماً، إلى غير ذلك، كُله لله وحده، فمن تقرب لغير الله من وليٍّ، أو نبيٍّ، أو صنمٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ بالدعاء، أو بالذبح، أو بالنذر، أو بالصلاة، أو بالصوم ونحو ذلك، فهو مشرك كافر أشرك بالله، وعبد معه سواه، كفعل المشركين الأولين، من عبّاد القبور، وعبّاد الأشجار، والأحجار، والأصنام، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله، ومن صرف منها شيئاً لغير الله من صنمٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ، أو قبرٍ، فهو مشرك بالله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ولغيرها من الآيات السابقة، وهذا دليل على ما تقدّم.

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(١) وفي لفظ آخر: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢) وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، انظر/ المسند (٢٦٧/٤) وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم ١٤٧٩، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم ٣٣٧٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، =

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠] فسمى الدعاء عبادة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: عن دعائي.

فالدعاء: هو أن يَضْرَعَ إلى الله يدعو، ويسأله النجاة، ويسأله الرزق، كل هذا عبادة، فإذا صرفها للصنم، أو للشجر، أو للحجر، أو لميت، صار مشركاً بالله ﷻ، فيجب الحذر من الشرك كله دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة لله وحده؛ لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به في الشيء المقدور عليه، لا بأس به، ولا يعتبر داخلاً في الشرك.

فلو قلت لأخيك الحاضر: يا عبد الله، أعني على قطع هذه الشجرة، أو على حفر هذه البئر، فلا بأس بذلك، كما قال سبحانه في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ الآية [القصص: ١٥] استغاثة الإسرائيلي على القبطي؛ لأن موسى قادر على إغاثة، يتكلم ويسمع.

أمّا إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، حاضراً، أو غائباً، أو ميتاً، واعتقد أنه ينفع من دعاءه، أو يضر، لا بالأسباب الحسية، فهذا من الشرك بالله، كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فيظنون أنهم يستطيعون بعبادتهم إيّاهم أن يشفعوا لهم عند الله في حصول مطالبهم، أو أنهم يقربونهم إلى الله زلفى.

= والنسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير في تفسير سورة غافر، برقم (١١٤٦٤)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب في فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٧)، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٨٩٠)، والحاكم في المستدرک في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر برقم (١٨٠٢) وصححه ووافقه الذهبي (٤٩١/١) كما صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، حيث قال: أخرجه أصحاب السنن بسند جيد (٦٤/١).

كما قال الله سبحانه عنهم في الآية الأخرى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وهذا من جهلهم وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه.

والله سبحانه له الشفاعة جميعاً، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فلا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يرضى الله عمله، ولا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه، وهو سبحانه لا يرضى بالشفاعة إلا لأهل التوحيد، كما صح عنه ﷺ أنه قال: لَمَّا سَأَلَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَائِلًا: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

ولا تكون الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان.

(١) في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث برقم (٩٩)، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٧٠).

ذكر بعض أنواع العبادة

قال المؤلف رحمه الله:

- «وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].
- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].
- وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].
- وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخْشَوُا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤].
- وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].
- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] في الحديث: «... إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...»^(١).
- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما في وصايا النبي ﷺ له، انظر: المسند (٣٠٧/١، ٣٠٨)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب رقم [٥٩] باب بدون عنوان برقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾

[الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ومن السنة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

[الإنسان: ٧].

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذَاكِرًا بعض أنواع العبادة: منها الخوف: وهو أقسام ثلاثة:

الأول: خوف السر، وهذا خاص بالله؛ لَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي يُخَافُ، وَيُخْشَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فالواجب خشية الله وخوفه؛ لَأَنَّهُ مُصَرِّفُ الْقُلُوبِ وَمُقْلِبُهَا، وَالْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُ وَيُضِرُّ وَيُعْطِي وَيُمْنَعُ.

(١) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْأَصْحَابِي، بَابِ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعْنِ فَاعِلِهِ بِرَقْمِ (١٩٧٨) وَأَصْلُ اللَّعْنِ مِنَ اللَّهِ: هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ عَنْ مِظَانِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاطِنِهَا، وَمِنْ الْخَلْقِ: السَّبُّ وَالِدَعَاءُ، وَاللَّعْنُ، وَالْمَلْعُونُ: مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، نَسَأَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة [لعن] ص ٨٣٧. باب اللام مع العين.

فالواجب تخصيصه بالخوف، وألا يخاف هذا الخوف إلا الله في كل الأمور.

ولكن خوف السر يختص به سبحانه، وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية، ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عبّاد القبور أنّ بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جلّ وعلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام، والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أنّ لهم القدرة على العطاء، والمنع، وزیغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسيّة.

الثاني: خوف الأسباب الحسية، كما قال تعالى في قصة أحد، لما قيل للنبي ﷺ: إِنَّ الْمَشْرِكِينَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، وسيرجعون إليكم، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فالشيطان: يُخَوِّفُ النَّاسَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَيُعْظِمُهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ حَتَّى يَخَافُوهُمْ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ بل اعتمدوا عليّ، وأعدوا العدة، ولا تُبَالُوا بِهِمْ، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا الخوف الحسي لا بأس به؛ لكن الخوف القلبي خوف السر، هذا هو المنهي عنه.

أمّا الخوف الحسي: مثل أن يخاف اللصّ، أو السارق، أو العدو، فَيَعِدُّ الْعِدَّةَ مِنَ السِّلَاحِ اللَّازِمِ، كُلُّ هَذَا لَا بَدَّ مِنْهُ، لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] وقال سبحانه في قصة موسى لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

فإنَّ هذا الخوفَ خوفٌ حَسِّيٌّ لا بأسَ به؛ لكن لا يَجُوزُ خوفُ العدوِّ خوفاً يَمْنَعُ من جهاده، ونصرِ الحقِّ، وإنَّما يَحْمِلُهُ هذا الخوفُ على الإعدادِ للعدوِّ، وأخذِ الحذرِ.

الثالث: الخوفُ الطَّبِيعِيُّ، الَّذِي جُبِلَ عليه الإنسانُ، وهذا لا حرجَ فيه، مثلُ خوفِ الإنسانِ الحيَّةَ، والعقربَ، والسَّبعَ، فيتباعدُ عنها، ويقتُلُها، ويتباعدُ عن مظنةِ السَّباعِ حتى لا يتأذَّى بها.

هذا أمرٌ لا بدَّ منه، واللَّهِ جَبَلَ النَّاسَ على الخوفِ مما يُؤْذِي حتى يتحرَّرَ منه، يخافُ البردَ، فيلبسُ الثَّيابَ الغليظةَ، ويخافُ من الجوعِ فيأكلُ، ويخافُ العطشَ فيشربُ، هذه أمورٌ طَبِيعِيَّةٌ لا بأسَ بِهَا.

وهكذا الرجاءُ عبادةٌ لِلَّهِ، فيرجو اللهَ، ويحسنُ به الظنَّ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالرغبةُ إليه، ورجاءُ ما عنده، عبادةٌ له سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالرَّغْبُ: الرجاءُ، والرَّهْبُ: الخوفُ، وكلاهما عبادةٌ، وعلى العبدِ أن يُحَسِّنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، وَيَعْمَلَ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وإنَّ الظنَّ الحسنَ مع الأخذِ بِالْأَسْبَابِ، يَعُودُ على العبدِ بِالْخَيْرِ، وبالرحمةِ، وبدخولِ الجنَّةِ، وبمغفرةِ الذُّنُوبِ.

وهكذا التوكُّلُ عبادةٌ، وهو التفويضُ إلى الله، والاعتمادُ عليه في كلِّ الأمورِ، مع الأخذِ بِالْأَسْبَابِ، فَتَعْتَمِدُ على الله في السلامة من الشرِّ، والعافية من الفتنِ، وحصولِ الرِّزْقِ، وفي دخولِ الجنَّةِ، والنجاة من النارِ، مع الأخذِ بِالْأَسْبَابِ المشروعةِ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ

فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ [المائدة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيه.

وهكذا الرغبة والرغبة والخشية من الله، كل هذه عبادات، قال تعالى عن الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني: خائفين يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَخْشَعُونَ لعظمته؛ أي: يَذُلُّونَ.

وهكذا الإنابة عبادَةٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] والإنابة معناها: الرجوعُ إلى الله، والتوبةُ إليه، والاستقامةُ على طاعته، فهذه عبادَةٌ لله، يَجِبُ على النَّاسِ أَنْ يُنِيبُوا إِلَى اللَّهِ، وَيَرْجِعُوا إِلَيْهِ، وَيَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، وَيَسْتَقِيمُوا عَلَى طَاعَتِهِ.

وهكذا الاستعانة عبادَةٌ، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١) فيستعينُ العبدُ بالله، فتقول: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، إِلَى غَيْرِ هَذَا، تَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ الْمُهَمَّاتِ.

وهكذا الاستعاذة عبادَةٌ، أَنْ تَسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ، وَتَلْجَأَ إِلَيْهِ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فالاستعاذة بالله: مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ كُلِّ مُؤَذٍ، وَمِنْ كُلِّ عَدُوٍّ، أَمْرٌ مَأْمُورٌ بِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ الشَّيْطَانُ نَزْغًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وهكذا الاستغاثة عبادة، أن تستغيث بالله في الشدائد من عدو، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضر، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وهكذا الذبح عبادة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ؛ أي: يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وهكذا النذر عبادة: قال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِي﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية، قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ، فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ، فَلَا يَعْصِهِ»^(١).

فالنذر: عبادة وطاعة لله، إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء، والنذر مكروه؛ لأن فيه التزاماً، وفيه مشقة؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن النذر.

وقال: «إِنَّ النَّذَرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»^(٢)؛ ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء؛ لقول الرسول ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ» فإذا نذر عبادة من صلاة، أو صوم، أو صدقة، أو غيرها لزمه الوفاء لما تقدم.



(١) رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة برقم (٦٦٩٦)، كما كرره في نفس الكتاب، بعد ثلاثة أحاديث في، باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية برقم (٦٧٠٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وتماهه: «وَأِنَّمَا يُسْتَحْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» واللفظ المستشهد به لفظ مسلم، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، برقم (٦٦٩٢، ٦٦٩٣)، ومن قبل في كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، برقم (٦٦٠٨)، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً برقم (١٦٣٩).

الأصل الثاني : معرفة العبد دينه

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو : الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخُلوص من الشرك^(١) وهو ثلاث مراتب : «الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان»، وكلُّ مرتبةٍ لها أركان :

المرتبة الأولى : أركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقام الصَّلَاةِ، وإيتاء الزَّكَاةِ، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران : ١٨].

وَمَعْنَاهَا : لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ : (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزَّحْرَف : ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤].

(١) وفي بعض نسخ ثلاثة الأصول : [وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِّيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

ودليل الصلاة، والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام، وهو ثلاث مراتب بينها الرسول الله ﷺ، فأولها الإسلام: وهو الإخلاص لله وحده؛ يعني: الاستسلام لله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله.

فإذا فعل ذلك - العبد - فقد أسلم؛ يعني: انقاد وذلَّ، وخضع لله ووحده بالعبادة دون كل ما سواه، وتبرأ من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من الشرك وأهله، وإنكار ذلك،

واعتقادُ بطلانِهِ، وهناك مرتبةُ الإيمانِ، ومرتبةُ الإحسانِ، وكلُّها داخلةٌ في دين الإسلام؛ الدين الَّذي شرعه الله لعباده، وأرسل به الرُّسلَ جميعاً ومرتبةُ الإسلامِ تَشْمَلُ الأعمالَ الظاهرة.

وأركانُهُ خمسةٌ: شهادةُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ لِمَن استطاعَ إليه سبيلاً، كما ثبت ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ في قوله: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»^(١).

فأولُ أركانِ الإسلامِ: شهادةُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وبها يدخلُ العبدُ في الإسلامِ، فيشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، أي: لا معبودَ حقَّ إلاَّ الله، وهي نفْيٌ، وإثباتٌ، فلا إلهَ: نفْيٌ، وإلاَّ الله: إثباتٌ، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البَيِّنَةُ: ٥] الآية وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحَجَّ: ٦٢].

أما قولُها بدونِ العملِ بها، فلا تَنَفُّعُ كَأَن يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يَخْصُصُ اللهَ بالعبادةِ، فَإِنَّ شهادَتَهُ لَا تَنَفُّعَ، كالمنافقين، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَهَا، ولا يَعْتَقِدُونَهَا، فهم في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، فَالَّذِي يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَعْبُدُ الْقُبُورَ وَالْأَصْنَامَ لَا تَنَفُّعُ^(٢)؛ بل هي باطلةٌ.

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام برقم (١٦).

(٢) أي: لا تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله.

وأما الشهادة الثانية: وهي أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فدلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام تعرفونه؛ لأنَّه من أنفسكم، وهو من أشرف قبائلكم من بني هاشم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يَشُقُّ عليه مَا يَشُقُّ عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: على هدايتكم، وإنقاذكم من النَّار. وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩] وبعد هذه الشَّهَادَةِ، عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ يُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَلَّا يَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، فَلَا بَدَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ:

الأول: طاعته فيما أمر من الصلاة، والزكاة، وغيرها.

الثاني: تصديقه فيما أخبر عن الآخرة، والجنة والنَّار، وغير ذلك.

الثالث: واجتناب ما عنه نَهَى وَزَجَرَ، كَالزُّنَا، وَالرِّبَا وغير ذلك مما نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ.

الرابع: وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، فَلَا يَتَّبِعُ فِي الدِّينِ مِمَّا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢) أي: هو مردود.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨)، وقد ذكره البخاري معلقًا تعليقًا مجزومًا به في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب [٢٠] في عنوان باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ... بين رقمي (٧٣٤٩-٧٣٥٠)

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

ودليل الصَّلَاةِ، والزَّكَاةِ، وتفسير التَّوْحِيدِ: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ هذا تفسير التوحيد: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

ودليل الصَّيَامِ: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي: أَنَّ الصَّيَامَ واجبٌ عليكم كُلَّ عامٍ، في شهرِ رمضانَ.

ودليل الحجِّ: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وهو مرةٌ في العمر؛ لقول النبي ﷺ: «.. الْحَجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^(١) - فهذه هي أركان الإسلام الخمس - .

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

«المرتبةُ الثانيةُ: الإيمانُ^(٢): وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا

(١) طرف من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في سؤال الأقرع بن حابس للنبي ﷺ رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥٥، ٢٩٠، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١) وأبو داود في سننه في كتاب المناسك، باب فرض الحج برقم (١٧٢١)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج، برقم (٢٦١٩)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (٢٨٨٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب الحج، برقم ١٧٢٨، وصححه ووافقه الذهبي. انظر: التلخيص مع المستدرک (١/ ٦٤٣).

(٢) الإيمان في اللغة: التصديق، وشرعاً: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر [٣٥/ ٥] طبعة الإفتاء الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ .

قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ^(١).

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

المرتبة الثالثة: الإحسان: رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الإيمان: هو ما يتعلَّقُ بالقلوبِ من التصديقِ بالله، وأنه ربُّ العالمين، وأنه هو المُسْتَحَقُّ للعبادة، والتَّصْدِيقُ بالملائكة، وبالكتب، وبالرُّسل، وبالبعثِ بعدَ المَوْتِ، والجنةِ والنَّارِ، وبالقدرِ خيرِهِ، وشَرِّهِ.

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «فأفضلها» بدل فأعلاها، وفيه أيضاً «بضع وستون أو بضع وسبعون» أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان برقم (٣٥).

كُلُّ هَذَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ، فَهُوَ أَصْلٌ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْهَا، فَلَا إِسْلَامَ إِلَّا بِإِيمَانٍ، وَلَا إِيمَانَ إِلَّا بِإِسْلَامٍ، فَلَا بَدَّ مِنْ هَذَا، وَهَذَا، لَا بَدَّ مِنْ إِسْلَامِ الْجَوَارِحِ، وَلَا بَدَّ مِنْ إِسْلَامِ الْقُلُوبِ، وَإِيمَانِهَا؛ وَلِهَذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَهَكَذَا الرَّسُولُ ﷺ ذَكَرَهُمَا جَمِيعًا.

فَالْإِسْلَامُ: هُوَ الْانْقِيَادُ الظَّاهِرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، وَالْإِيمَانُ يَشْمَلُ الْأَعْمَالَ الْبَاطِنَةَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ وَتَصَدِيقِهَا، وَيُطْلَقُ الْإِسْلَامُ عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُطْلَقُ الْإِيمَانُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

فَإِذَا قِيلَ: الْإِيمَانُ: عَمَّ الْجَمِيعَ، وَإِذَا قِيلَ: الْإِسْلَامُ: عَمَّ الْجَمِيعَ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٩] فَيَعُمُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

وَهَكَذَا الْإِيمَانُ إِذَا أُطْلِقَ عَمَّ الْجَمِيعَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْإِيمَانُ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(١).

فَالْإِيمَانُ هُنَا يَعُمُّ الْجَمِيعَ، فَيَعُمُّ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَيَعُمُّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، كَمَا يَعُمُّ الْبَاطِنَةَ، كَمَا أَنَّهُ يَشْمَلُ الْإِحْسَانَ.

أَمَّا الْإِحْسَانُ: فَهُوَ إِكْمَالُ الْعِبَادَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الاسْتِحْضَارِ، فَقَدْ أَدْرَكَ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ، وَاجْتَمَعَ لَهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨] وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنْ رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٦] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

(١) سبق تخريجه.

قال المؤلف رحمه الله :

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ ^(١) حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تِلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جِبْرِائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ» ^(٢)».



(١) وهذا الدليل من السنة على مراتب الدين الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(٢) أورده مسلم أول حديث في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، برقم (٨).

الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه ﷺ

قال المؤلف رحمه الله:

«الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام. وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورَسُولاً، نبأ به (اقرأ)، وأُرسل به (المُدَّثِر)، وبلده مكة، بعثه الله بالندارة عن الشرك، ويدعوا إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المُدَّثِر: ١-٧].»

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنذِرُ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجَرُهَا تَرْكُهَا وَأَهْلُهَا وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ (١) بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.»

(١) العروج: هو الصعود إلى الأعلى، عرج يعرج، عروجاً إذا صعد إلى العلو بالدرج ونحوه، ومنه المعارج: الفواصل التي تصعد بها الملائكة إلى السماء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة [عرج] باب العين، فصل الرء ص ٦٠٢، وقصة إسراء وعروجه ﷺ إلى السماء وفرض الصلوات عليه مشهورة في دواوين الإسلام، فمنها ما رواه الشيخان في الصحيحين، عن أبي ذر رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء برقم (٣٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٣).

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

هذا هو الأصل الثالث: وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، فعلى الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، ويين له الشرائع التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها.

هذا النبي هو: مُحَمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس، أرسله الله للناس جميعاً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَايُهُمُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨].

فاسمُه مُحَمَّدٌ، واسمُه أحمدٌ، واسمُه الحاشِرُ، والمحي (١)، والمُتَّقَى (٢)؛ لأنه خاتم الأنبياء وهو نبي التوبة (٣)، ونبي الرحمة (٤)،

(١) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم وفيهما اسم خامس وهو «العاقب» أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ برقم (٣٥٣٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ برقم (٢٣٥٤).

(٢) الوصف بهذا الاسم ورد في حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفضائل [٤٥٧/١١] وأحمد في المسند (٤٠٥/٥) والبزار في مسنده برقم ٢٨٨٧ (٢٩٤/٧) وذكر فيه نبي الملحمة، ثم كرره بزيادة نبي التوبة برقم (٢٩١٢) (٣١٢/٧) وصححه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٣١٥).

(٣) ورد هذا الاسم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «سمعتُ أبا القاسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نبي التوبة .. من قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزُّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..» أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا برقم (١٦٦٠).

(٤) وردت هذه التسمية في حديث حذيفة السابق تخريجه وفي حديث عثمان بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب [١١٩] بدون عنوان برقم (٣٥٧٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، برقم (١٣٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٥/٢) برقم (١٢١٩)، والحاكم في المستدرک في كتاب صلاة التطوع برقم (١١٨٠)، وكرره برقم (١٩٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي (٣١٣/١).

وَنَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ. هَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لَكِنْ أَشْهَرُهَا وَأَفْضَلُهَا وَأَعْظَمُهَا مُحَمَّدٌ، الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، وَجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٩] (١).

وَهَكَذَا أَحْمَدُ، كَمَا بَشَّرَ بِهِ عِيسَى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصَّف: ٦] فهو محمدٌ، وأبوه اسمُه عبدُ اللهِ، وجدُّه اسمُه عبدُ المطلبِ، وعبدُ المطلبِ لَقَبٌ وَإِلَّا فَاسْمُهُ شَيْبَةَ، وَأَبُو جَدِّه اسمُه هَاشِمٌ، وَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، كَمَا أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ كَذَلِكَ.

وهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ أَفْضَلُ الْعَرَبِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ خَاصَّتِهِمْ، مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنُو هَاشِمٍ خَاصَّةُ قُرَيْشٍ، وَهُمْ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ: وَاسْمُهُ فَهْرُ بْنُ مَالِكٍ، وَقِيلَ: قُرَيْشٌ هُوَ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ جَدُّ فَهْرُ بْنُ مَالِكٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ الَّتِي اسْتَعَرَبَ لِسَانُهَا، فَصَارَ لَهَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ وَاضِحٍ، فَهِيَ أَكْثَرُ عُرُوبَةٍ مِنْ قَحْطَانٍ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمُ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، وَالْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ، وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ.

وَهَذَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ نُبِيٌّ ب(اقْرَأ) (٢)، فَأَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الْعَلَقُ: ١] وَصَارَ بِهَا نَبِيًّا، وَقَدْ أَتَاهُ جِبْرِيلُ،

(١) ورد اسم محمد ﷺ في القرآن في أربعة مواضع: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٤٤] والثانية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٠] والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَوَاعِدُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢] والرابعة: في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٩] الموضع المستشهد به في الشرح.

(٢) فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في قصة كيفية بدء الوحي عليه ﷺ أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب [٣] برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦٠).

وهو في الغار، غار حراء، فَأَقْرَأَهُ هَذِهِ السُّورَةَ.

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ جَاءَهُ بِالْمُدَّثِّرِ، فَصَارَ رَسُولًا بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] ^(١) وَالْمُدَّثِّرُ: الْمُتَلَحِّفُ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ مَا جَاءَهُ الْوَحْيُ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَقَالَ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي.. دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي.. مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْخَوْفِ لَمَّا ضَغَطَ عَلَيْهِ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَاتٍ.

ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، تَمْهِيدًا لِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَظْمَتِهَا، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] أَيُّ: قُمْ فَأَنْذِرِ النَّاسَ، فَصَارَ رَسُولًا بِأَمْرِهِ بِالنَّذَارَةِ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيُّ: عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيُّ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرِكِ؛ لِأَنَّ تَطْهِيرَ الْمَلَابِسِ غَيْرُ مُرَادِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَمْ تُفْرَضْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَالْمُرَادُ هُنَا الْأَعْمَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ الْقُوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] فَالْعَمَلُ يُسَمَّى لِبَاسًا.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجَرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَشْرَ سِنِينَ، يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الشَّرِكِ، وَيَأْمُرُ بِخُلْعِ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَخْصُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ فِي دُعَائِهِمْ وَنَذْرِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ مَعَ جَبْرَائِيلَ، وَفُتِحَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ إِلَى مَوْضِعٍ رَفِيعٍ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَتَّى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ

(١) جاء في الصحيحين أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب

[٣] برقم (٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦١).

الْأَقْلَامَ، ثُمَّ نَادَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَّمَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، فَرَضَهَا خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ التَّخْفِيفَ حَتَّى جَعَلَهَا اللَّهُ خَمْسًا. فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: هِيَ خَمْسٌ فِي الْعَدَدِ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، فَمَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَأَدَّاهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

فَنَزَلَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَاسْتَقَرَّتِ الصَّلَاةُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ: الظُّهْرُ، وَالْعَصْرُ، وَالْمَغْرِبُ، وَالْعِشَاءُ، وَالْفَجْرُ، وَصَلَّاهَا فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى قُرَيْشٍ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ؛ لِأَجْلِ أَذَى وَظُلْمِ قُرَيْشٍ، إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى الْأَنْصَارِ، وَقَدْ بَايَعُوهُ^(١) فِي مُوسِمِ الْحَجِّ عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْهِمْ وَيَنْصُرُوهُ ﷺ وَأَرْضَاهُمْ.

فَلَمَّا تَمَّتِ الْبَيْعَةُ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِجْرَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَدْ هَاجَرَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَمَكثُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ مَدَّةً، ثُمَّ هَاجَرَ بَقِيَّتُهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ جَاءَ الَّذِينَ فِي الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَقَرَّ الْجَمِيعُ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

(١) انظر: ما أخرجه الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه البخاري في كتاب المناقب، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة برقم (٣٨٨٩)، ومسلم عنه مطولاً في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم برقم (٢٧٦٩)، وانظر: ما قاله جابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما في حضورهما بيعة العقبة، البخاري الكتاب والباب السابقان برقم (٣٨٩٠ - ٣٨٩٣)، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها برقم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت، وانظر: لتفاصيل قصة البيعة الأولى والثانية السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٧٩، ٢٩٦) وتاريخ الطبري لابن جرير [١/ ٥٦٥].

قال المؤلف رحمته الله:

«والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رحمته الله^(١): سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة، قوله رحمته الله: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة،

(١) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي الملقب بركن الدين، الإمام الفقيه المجتهد محي السنة، صاحب معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة في الحديث، والتهذيب والمصباح وغير ذلك، من التصانيف النافعة، مات بمرورالروز في شوال سنة [٥١٦ هـ] عن ثمانين سنة، انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ترجمة رقم (١٠٢٧) (١/٤٥٦، ٤٥٧)، وانظر لكلامه تفسيره معالم التنزيل عند تفسيره للآية المذكورة.

(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه انظر: المسند (٩٩/٤) وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت برقم (٢٤٧٩)، كما أخرجه الدارمي في سننه في كتاب السير، باب أن الهجرة لا تنقطع برقم (٢٤١٦).

والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي، صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرهما منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرهما عنه الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثم إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿ [الزمر: ٣٠-٣١].

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [١٧] ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿ [نوح: ١٧-١٨].

وبعد البعث مُحاسبون ومجزئون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِأَعْمَلِهِمْ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ومن كَذَّبَ بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لِنَبْلُوَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ :

فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام من الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنَّ المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولى للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا من رحمة الله عزَّ وجلَّ، أنَّ أجلَّ هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة، وكان أصل الزكاة مشروعة في مكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفصيل أحكامها، كُلُّ هذا صار في المدينة، وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة.

وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة، وأنزل الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] في سورة آل عمران، وهي مدنية.

وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عن من كف عنه، ثم أُمر بأن يبدأهم بالقتال، وأن يجاهد الكُفَّار، وإن لم يبدأوا، فيدعوهم إلى الله ويرشدهم إليه، فإنَّ أجابوا، وإلا قاتلهم حتى يستجيبوا للحقِّ إلا أهل الكتاب، فإنه يقبل منهم الجزية.

وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب، إمَّا إسلام، وإمَّا جزية، وإمَّا بقية الكفرة إمَّا الإسلام، وإمَّا السيف مع القدرة.

وبعد ما أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، توفاه الله إليه بعد

عشر سنين من الهجرة، بعد ما بلغ البلاغ المبين، وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَسْئُونٌ﴾ [٢: ٢٠]، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ ﴿[الزمر: ٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يَبْعَثُونَ، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿[نوح: ١٧-١٨] وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْعِثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُعْثِيَ ثُمَّ لَنَنْبِتُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

فهم مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ يوم القيامة، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فالسعيد يُعطى كتابه بيمينه، والشقي يعطى كتابه بشماله.

السعيد: يرجح ميزانه، والكافر: يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي على خطر، فقد يرجح ميزانهم بالتوبة، أو بعفو الله سبحانه، أو بالحسنات، وقد يخف ميزانهم، فيكونون من أهل النار، فيعذبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم الله من النار بسبب موتهم على الإسلام.

فالواجب على كل مكلف أن يحذر سيئات العمل، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متى يهجم عليه الأجل، فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة، ويجاهد نفسه حتى يستقيم على الحق، والتوبة النصوح من جميع الذنوب، حتى إذا هجم عليه الأجل إذا هو على خير عمل، وعلى استقامة، فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة.



بيان ما بعث الله به الرسل عليهم السلام

قال المؤلف رحمته الله:

«وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ - عليه السلام - ^(١) وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ رحمته الله، وهو خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمته الله ^(٢): معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة:

(١) قد ورد أنه أول رسول في حديث خبر الشفاعة العظمى عن عدد من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ: لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حِينَمَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ يَقُولُ لَهُمْ: «.. إِتُّوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ..» أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله شمس الدين المشهور بابن القيم الجوزية، ولد في ٧ صفر سنة [٦٩١هـ] له مؤلفات كثيرة مفيدة في الأصول والفروع، في العقائد والأحكام، توفي رحمته الله في دمشق في ١٣ رجب سنة [٧٥١هـ] انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٧ - ٤٥٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥). وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٦٨ - ١٧٠) وانظر كلامه: إعلام الموقعين في فصل تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المخالف للنصوص (ص ٤٤).

إبليس لعنه الله، ومن عُبدَ وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وفي الحديث: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١) والله أعلم.

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَّسُولُ ﷺ مُرْسَلٌ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي.

وهكذا الرسل جميعاً أرسلوا إلى أممهم مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَأُولَهُمْ نُوحٌ، بَعَثَهُ لَمَّا وَقَعَ الشُّرْكُ فِي قَوْمِهِ. وقبله آدَمُ فَإِنَّهُ نَبِيُّ رَسُولٍ مُّكَلَّفٌ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ؛ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا أَبُوهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَاسْتَمَرُّوا

(١) جزء من حديث معاذ بن جبل رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٣٧/٥) وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ بِرَقْمِ (٢٦١٦) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَهَ فِي كِتَابِ الْفَتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، بِرَقْمِ (٣٩٧٣)، وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجْدَةِ: ١٦] بِرَقْمِ (١١٣٩٤)، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، وَقَدْ سَأَلَ الشَّيْخَ ابْنَ بَازٍ عَنْهُ فَقَالَ: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

على الإسلام والاستقامة، حتى وَقَعَ الشُّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا وَقَعَ الشُّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ، أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ وَقُوعِ الشُّرْكِ.

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَادُ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُودًا، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ صَالِحًا إِلَى قَوْمِهِ ثَمُودَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِبْرَاهِيمَ، وَلُوطًا، وَشُعَيْبًا، فِي زَمَانٍ مُتْقَارِبٍ.

ثُمَّ جَاءَتْ الرُّسُلُ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَرَّى، فَفِيهِمْ مُوسَى وَهَارُونُ وَعِيسَى وَأَيُّوبُ وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ، ثُمَّ خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ وَآخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٥] فَقَوْلُهُ: ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ يَعْنِي: يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ يَعْنِي: يُنْذِرُونَ النَّاسَ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، وَمِنَ النَّارِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، إِذَا خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ.

وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿[الْأَحْزَابُ: ٤٥-٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٠].

فَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ اتِّبَاعُ رُسُلِهِمْ، فَكُلُّ أُمَّةٍ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَتَّبِعَ رَسُولَهَا، وَتَتَّقَادَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَقَدْ وَعَدَهَا اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ قَدْ عَصَوْا رُسُلَهُمْ، وَخَالَفُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يُوسُفُ: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿[الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سَبَأًا: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سَبَأًا: ٢٠].

وَكُلُّ رَسُولٍ يَدْعُو أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَطَاعَتِهِ، وَتَرْكِ الشَّرِكِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يَعْنِي: أَطِيعُوهُ، وَوَحِّدُوهُ، وَاسْتَقِيمُوا عَلَى دِينِهِ، وَاجْتَنِبُوا - عِبَادَةَ - الطَّاغُوتِ.

وَالطَّاغُوتُ: هُوَ كُلُّ مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ رَاضٍ، وَكُلُّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَوْ دَعَا إِلَى ذَلِكَ، وَالطَّاغُوتُ: مَا خُوِذَ مِنَ الطَّغْيَانِ: وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ، يُقَالُ: طَغَى الْمَاءُ إِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ.

وَالطَّاغُوتُ: هُوَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ، إِمَّا بِشَرْكِهِ وَكُفْرِهِ، وَإِمَّا بِدَعْوَتِهِ إِلَى ذَلِكَ، وَشُرُّهُمْ وَرَأْسُهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، أَوْ رَضِيَ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِرُونَ وَتَمْرُودٌ، أَوْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، كَالْكُهْنَةِ وَالْعَرَّافِينَ وَالسَّحَرَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مُتَعَمِّدًا، فَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الطَّوَاغِيتِ، وَكُلُّ مَنْ جَاوَزَ الْحَدَّ، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، يُسَمَّى طَاغُوتًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فَالرُّشْدُ: الْإِسْلَامُ وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَالْغَيُّ: الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَالضَّلَالُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فَ﴿يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾ يَعْنِي: يَتَبَرَّأُ مِنْهُ، وَيَعْتَقِدُ بَطْلَانَهُ، فَيَتَبَرَّأُ مِنَ الشَّرِكِ، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يَعْنِي:

يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ مَعْبُودُهُ، وَإِلَهُهُ الْحَقُّ، وَيُؤْمِنُ بِالشَّرِيعَةِ، وبِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَنْقَادُ لِذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ يعني: اسْتَعَصَمَ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ وهي: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، يعني: فقد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الَّتِي لَا انْقِطَاعَ لَهَا؛ بَلْ مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهَا صَادِقًا، وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا، وَصَلَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ؛ لِأَنَّ لَهَا حُقُوقًا، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَطَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ.

ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو رسول الله إلى جميع أهل الأرض، من الجن والإنس، فيجبُ على جميع المُكَلَّفِينَ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْخُرُوجُ عَنْهَا، وَجَمِيعُ الشَّرَائِعِ الْمَاضِيَةِ كُلُّهَا نُسِخَتْ بِشَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَابِعُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] الآية.

وقال قبلها سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» أخرجه مسلم في صحيحه^(١).

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُرُوجُ عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ،

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣).

نسأل الله العافية والسلامة.

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

فَعَلَى جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ، وَيَعْبُدُوهُ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَنْ يَكْفُرُوا بِالطَّاغُوتِ، وَيُنْكِرُوا عِبَادَتَهُ، وَيَلْتَزِمُوا بِالتَّوْحِيدِ، وَاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

«رَأْسُ الْأَمْرِ» يَعْنِي: رَأْسُ الدِّينِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ؛ يَعْنِي: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَمَنْ التَّزَمَ بِهَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ.

«وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ» وَهِيَ الرُّكْنُ الثَّانِي، وَهِيَ أَعْظَمُ الْأَرْكَانِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ الرِّكَاءُ، وَالصَّيَامُ، وَالْحَجُّ، وَبَقِيَّةُ أَوَامِرِ اللَّهِ.

«وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» لِأَنَّ بِهِ صِيَانَةَ الدِّينِ وَحِمَايَتَهُ، وَبِهِ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَإِلْزَامُهُمْ بِالْحَقِّ.

فَهُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِهِ، مِنْ جِهَةٍ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



(١) سبق تخريجه.



فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٢١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَنَسْتَغِيثُ وَإِيَّاكَ﴾	٥	١٥
سورة البقرة		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾	٢١	١٣، ٧
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾	٢٢	٢٦-٢٥
﴿وَالِلَّهِكُمُ الْإِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٦٣	١٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾	١٨٣	٣٩
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾	١٨٥	٤٢
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	٣١
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾	٢٥٦	٣٩
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾	٢٧٠	٣٧
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	١٧
سورة آل عمران		
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾	١٨	٣٨
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٤٤
﴿قُلْ يَأْهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٣٨
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾	٩٧	٣٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾	١٤٤	٤٨
﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ﴾	١٧٥	٣١

سورة النساء

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾	٣٦	١٤
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	٤٨، ١١٦	١٤
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾	٧١	٣٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلِّمَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾	٩٧-٩٩	٥١
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾	١٦٣	٥٥
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	١٦٥	٥٥

سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ﴾	٣	٥٢
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٣	٣١
﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾	٤٤	٣٢
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ﴾	٥١	١٦
﴿إِنَّهُمْ مِنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾	٧٢	٢٩

سورة الأنعام

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا﴾	٨٨	١٤
﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	١١٦	٥٧
﴿وَأَنَّا حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	١٤١	٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ﴾	١٦٢-١٦٣	٣٢

سورة الأعراف

﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾	٢٦	٤٩
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾	٥٤	٢١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ﴾	٥٦	٤٤
﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾	١٥٧	٥٩
﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولٍ﴾	١٥٨	٤٧
﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾	٢٠٠	٣٦

سورة الأنفال

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ﴾	٩	٣٢
﴿وَقَبِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾	٣٩	١٧
﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٤٦	٩
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾	٦٠	٣٤

سورة التوبة

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا﴾	٥	١٧
﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَخُوفُكُمْ فِي الْيَدِينَ﴾	١١	٤٢
﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾	١٨	٣٣
﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	٢٩	١٦
﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا﴾	٤١	١٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾	١٢٨	٣٩
سورة يونس		
﴿وَيَقُولُونَ هَتُولَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٨	٣٠
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ﴾	٦١	٤٣
﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾	١٠٦	٢٨
سورة هود		
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ﴾	١٧	٥٩
سورة يوسف		
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٣	٥٧
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾	٣٦	٥٥
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾	١٢٣	١٨
﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾	١٢٧	٩
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ﴾	١٢٨	٤٣
سورة الأسراء		
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	٢٣	١٥، ١٤
سورة الكهف		
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ﴾	١١٠	٣١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة طه		
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	٥٢
سورة الأنبياء		
﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا الْقَوْلُ وَهُمْ بِأَمْرِ﴾	٢٧-٢٨	٢٢
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾	٩٠	٣٥
سورة الحج		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾	٦٢	٤٠
سورة المؤمنون		
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ﴾	١١٧	٢٧
سورة الشعراء		
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦٧﴾ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٧-٢٢٠	٤٣
سورة القصص		
﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ﴾	١٥	١٤
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	٢١	٣٤
سورة العنكبوت		
﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾	٥٦	٥١
سورة لقمان		
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	١٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة السجدة		
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾	١٦	٥٦
سورة الأحزاب		
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	٤٠	٤٨
﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا﴾	٤٥-٤٦	٥٧
سورة سبأ		
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾	١٣	٥٧-٥٨
﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ لَيْلِسُ ظَنُّهُمْ﴾	٢٠	٥٨
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾	٢٨	٤٧
سورة فاطر		
﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾	١٣-١٤	٢٨
سورة يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ﴾	٨٢	٢٥
سورة الزمر		
﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	٢	١٤
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾	٣	٣١
﴿إِنَّمَا يُوقِى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٩
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾	٣٠-٣١	٥٢
﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾	٥٤	٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٥	١٥-١٤
سورة غافر		
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٢٧
سورة فصلت		
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	٣٧	٢٢
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٢٤
سورة الزخرف		
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾	٢٦-٢٨	٣٨
سورة الأحقاف		
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	٣٥	٩
سورة محمد		
﴿وَأَمَّا نُنَزِّلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٢	٤٨
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ﴾	١٩	١٢، ٦
سورة الفتح		
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾	٢٩	٤٨
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٨، ٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطور		
﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	٤٨	٩
سورة النجم		
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾	٣١	٥٢
سورة القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٤٣
﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾	٥٠	٢٥
سورة المجادلة		
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٢	١٣
﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ﴾	٢٢	١٧
سورة الممتحنة		
﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	٤	١٦
سورة الصف		
﴿وَمُبَشِّرًا رَّسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحَدٌ﴾	٦	٤٨
سورة التغابن		
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْذَّبَ﴾	٧	٥٢
﴿فَانْفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	١٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	٣٢
سورة التحريم		
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٢٢
سورة الملك		
﴿بَبْرَكَ الَّذِي يَدْرِهُ الْمُلْكُ﴾	١	٢٥
سورة نوح		
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	١٧-١٨	٥٢
سورة الجن		
﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	١٦
سورة المزمل		
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا﴾	١٥-١٦	١٣
﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾	١٦	١٥
سورة المدثر		
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾	١-٧	٤٦
سورة الإنسان		
﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَدْرِ وَيَحَاوُونَ يَوْمًا﴾	٧	٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة العلق		
﴿أَفَرَأَى بِآسَمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	٤٩
سورة البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٥	١٤
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	٣-١	٦
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٣	٩
سورة الإخلاص		
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	٢٤
سورة الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	١	٣٢
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	١	٣٢

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

طرف الحديث	راويہ	صفحة
«إِتُّوا نوحًا أول الرسل...»	أنس بن مالك	٥٥
«الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»	عمر، وأبو هريرة	٤٥
«إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...»	ابن عباس	٣٢
«أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ...»	أبي بكرة	٢٠
«إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ؛ وَلَكِنْ يَسْتَخْرِجُ...»	ابن عمر	٣٧
«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»	ابن مسعود	١٩
«إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ...»	جبير بن مطعم	٤٧
«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ...»	حذيفة بن اليمان	٤٧
«الْإِيمَانُ: بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً...»	أبو هريرة	٤٤
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٍ...»	ابن عمر	٤٠
«الْحَجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»	ابن عباس	٤٢
«الدُّعَاءُ: مُخُّ الْعِبَادَةِ»	أنس بن مالك	٢٩
«الدُّعَاءُ: هُوَ الْعِبَادَةُ»	النعمان بن بشير	٢٩
«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»	معاذ بن جبل	٥٦
«سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَبِيَّ التَّوْبَةِ»	أبو هريرة	٤٧
«سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»	ابن عوف	١٦-١٧
«لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ...»	معاوية	٥١
«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»	علي بن أبي طالب	٣٢

طرف الحديث	راويہ	صفحة
«مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ ...»	عائشة	٤١
«مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ»	أبو هريرة	٣١
«مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»	ابن عمر	١٠
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»	عائشة	٤١
«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ...»	ابن عمر	١١
«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ...»	عائشة	٣٧
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ»	أبو هريرة	٥٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
مقدمة اللجنة العلمية.....	٣
تعريف الشارح بثلاثة الأصول ومؤلفها.....	٥
شرح مقدمة المؤلف.....	٧
توطئة للأصل الأول.....	١٤
بيان مجمل بالثلاثة الأصول.....	٢٢
الأصل الأول: معرفة العبد ربه.....	٢٢
معنى العبادة وبيان أنواعها.....	٢٨
ذكر بعض أنواع العبادة:.....	٣٣
الأصل الثاني: معرفة العبد دينه.....	٣٥
بيان مراتب الدين الثلاثة وأدلتها.....	٣٩
المرتبة الأولى: الإسلام، تعريفه، وأركانه وأدلتها.....	٣٩
المرتبة الثانية: الإيمان، تعريفه، وأركانه وأدلتها.....	٤٣
المرتبة الثالثة: الإحسان، تعريفه، وركنه، ودليل ذلك.....	٤٤
الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه ﷺ.....	٤٧
بيان ما بعث الله به الرسل عليهم السلام.....	٥٦
فهرس الآيات.....	٦٣
فهرس الأحاديث.....	٧٣
الموضوعات.....	٧٥